بصمات في تاريخ الكويت

رجل المجاهيل العصية

الشهيد حبيب غريب الحسين

تخليد ورعاية

بصمات خالدة

العطـاء، بدرجاته المختلفـة، قيمة إنسـانية عظيمة.. وعندما يصل العطاء الى التضحية بالروح فإنها تجسد القيم الإنسانية لأنهـا تعكس سمو النفس، وعلو الهمة، ولأنهـا تجسـد الإيمان المطلـق بأن الحيـاة الحقيقية هي الحيـاة الكريمة وهـذه تستحق التضحيـة بأثمن مـا يملكه الإنسان وهو النفـس... لقد تجلت جميع هذه القيم الإنسانية النبيلة في ملحمة بطولية أثناء تعرض الكويـت للغزو.. لقد توقـف الزمن عندها ليشـهد هذه الملحمة الإنسـانية النادرة وليشهد عليها أيضاً ليكون بعدها توثيقاً للحدث يسـتهدف إعلاء شأن الوطن وشأن القيم وإعلاء لشـأن الإنسـان والذي هو محور كل ذلك، وتعزيزاً وتدعيماً للقيم الإنسانية النبيلة التي جسدتها التضـحيات العظيمة لأبناء هذا البلد الأمين فقد ارتأى المكتب أن يوثق هذه القيم ضـمن سلسـلة من القصص التي تعكس مآثر وتضحيات أبناء هذا البلد لتظل نافذة للأجيال القادمة يشهدون من خلالها أسمى معاني الإيثار ولينهلوا منها معاني الوفاء والعمل والحياة الكريمة..

تخليد ورعاية

- تكريم الشـهيد عن طريق تخليـد بطولاته ورعاية ذويه رعاية متميزة في الجوانب المادية والمعنوية.

Tel: 1888101

رجل المجاهيل العصيـــة

قصة الشهيد(*)

حبيب غريب الحسين

بقلم

إستبرق أحمد

(*) تمت الاستعانة بحيثيات الشهيد من كتاب د. بنيان تركي.

813 أحمد، استبرق .
رجل المجاهيل العصّية : قصة الشهيد حبيب غريب الحسين .../ بقلم استبرق أحمد، - ط 2.- الكويت : مكتب الشهيد، 2013
28ص: 21سم. - (بصمات من تاريخ الكويت)
ردمك : 978-99906-84-22-3
1 - القصة العربية - الكويت 2 - الشهداء 3 -الكويت - تراجم أ- العنوان
ب- السلسلة

ردمك: 978-99906-84-22-3
رقم الإيداع: 490/ 2007

«إهـــــداء»

إلى أرضـــي الصغيرة ...

إلى حبي الكبير ...

إلى من يستحق التضيحة والعطاء ...

«إلى الكويت»

مكتب الشهيد

بصمات في تاريخ الكويت

إن كانت المعاناة والآلام بما يصاحبها من آمال وكبرياء تتفتح أدباً وشـــعراً وفناً، فذلك هو حال الحركة الأدبية والثقافية في دولة الكويت التي انتصرت وجدانياً وأدبياً للتطورات السياســـية والإجتماعية والإنسانية التي عاشها العالم العربي منذ منتصف القرن الماضي، مروراً بأشـــهر الاحتلال الصدامي لبلدنا الحبيب الكويت.

سجلت الحركة الأدبية والثقافية في بلدنا ظهور أعداد كبيرة من العمالقة الـــرواد والمبدعين الكويتيين الذين تركوا بصمات واضحة في مسيرة العلم والثقافة والفكر والفن والأدب، وأجادوا فن الكتابة والتعبير شعراً ونثراً.

فـــي مجموعتنا « **بصمات في تاريـخ الكويت** » أراد مكتب الشهيد أن يسجل للتاريخ فورة غضب الكويتيين علـــى المحتـــل، وإرادة النصر على الغاصـــب مهما كانت عدته وعديده، والرغبة في الشهادة فداءً للأرض والعرض فعندما تحقـــق النصر وطُـــرد الغزاة حكـــت اليراعات الكويتية قصص بطولات، ووثّقت معارك شرف وملاحم

شرسة، خاضها ضد المحتل، شبان وشابات بصدور عامرة بعشق الكويت وبقلوب مؤمنة بنصر الله.

« **بصمات في تاريخ الكويت** » تضم باقة من أدب النصر على الاحتلال، وصفحات من الكفاح لتحرير الأرض. وهي هديتنا لأبنائنا وإخواننا من هذا الجيل ومن الأجيال القادمة في بلدنا الكويت، وفي كل مكان من هذا العالم، نبراساً لتصدي الحق وانتصاره على الباطل، وشاهداً على حب الوطن وتقديسه، ووفاءً لمن ضحوا بأرواحهم فداءً للكويت.

الوكيل المساعد

المدير العام لمكتب الشهيد

فاطمه أحمد الأمير

حبيب... الأحبة فقط ينسلون من خارج العالم ويبقون في الشغاف

غريب.. يظل الخيرون وحدهم في غربتهم الشاهقة مختلفون عنا

الحسين.. أيّ اسم منبرا للخلق والنسب والتضحية يتماهى معك

«حبيب غريب الحسين»..

الاسم يحمل سره بالحياة ومسيره فيها..

«١»

رجل ثائر، مشروخ التفاؤل، مؤجج بالتعب

رأيته في اليوم المشؤوم توأم:

الضياع، الشتات، الغياب

انسل من جسدك، من عقلك وقلبك معا.. مرتديا كدره فاستأنست به له ذات الهيئة، القامة، الملابس، التي لك ما عدا عيناه تحدقان في العدم...

علمت أنه رجل الغضب الفائض..

علمت أنك / هو وهو / أنت في زمن الخطوب، فلا ضيق ولا ضجر يتشجر بينكما، تتحادثان، تتناجيان حول عالم اختصر في التعب / الحزن / المرارة.

تتفقان على انتصاب لحون نشاز، أراقتهما نايات عبثية، يهيمن

الشجن المالح فيها .. منذ حقن الزمن بـ (فجر أغسطسي) وبحيرات / جروح غامقة، عميقة، ملتهبة بالصدمة.

صباح أغسطسي وتحولات خانقة، متسارعة، مخضبة بالغثيان والحمى.

ليلة أغسطسية أصابت جميع الليالي بغيبوبة الهموم الرطبة.

منذ وردت الأخبار في صيغها الجديدة..

فاجـــرة، مضنية الأحداث، وجعها مقذوف في تداعيات يومك المر فحلت فاجعتها / سوادها حين..

٨/٢ أتـــوا .. وفي «قصر بيان» قاتلتم المباغتة، الدناءة، دافعتم، وإزاء أعدادهم الهائلـــة تفرقتم وماعدت للأهل في «الرميثية» إلا اليوم التالي.

٨/٣ يتجهـــون لبلد مجـــاور بعتادهم الضخم، وجشـــعهم غير المتناهـــي، يرجعون عن طمعهـــم / جنونهم الجديـــد . مضطرين، مجبرين.

٨/٤ ســـتار الأيام يسقط عن ســـذاجة حكومة مؤقتة غامضة في تخلقها.

٨/٦ تجرأوا .. جمعوا نقاء الأطفال، ذعر الأمهات والآباء من الرعايا الأجانب، نقلوهم للشمال رداء حماية ألبسوه للقائد.

٨/٨ يـــذرون في الألـــم المزيد من الأذى والاســـتفزاز، يعلنون بقسوة مزلزلة ضم الكويت إليهم كمحافظة بلا كيان آخر.

والتاريخ يكمل مسيرة أنبائه...

لا الأخبار ولا حزنك يهبان لك الضئيل واليسير من الراحة..

فالعدو لا يكف حزنك عن مضايقتكم نابشـــا عن أي فســـحة تتكئـــون عليها ليوصدهـــا برعونته المطلقة، رقيـــب على رغباتكم، ضحكاتكم، آهاتكم، يسيّج حياتكم بالهموم والفظاعة، ينثر أصفاد أحقادهم تتصيدكم، يأمل تكسّر جسارتكم، يمعن في مناكفتكم..

فتبعث الحيل الذكية / الفارهة منكم، قبالة عدو موسوس يرى في حياتكم عصياناً يعجل بإخماده توا، وفي عاداتكم تمرداً يوجب وأده فورا، حتى في جلوسكم الأليف، أحاديثكم اليومية، يحلق رده المحرض الكريه حاضرا، مثرثرا، فجا رســـله طلقات عاتية تقصد تجمعكم خارج منازلكم...

تحايلت بدهاء..

بسماحة فتحت ديوانيتك سرا، تدبرت جيدا ألا تكونوا مرئيين، وضعـــت اللاصق، عصبـــت عين الرؤيـــة عن البوح، ما انكشـــف شيء..

عدتم للاجتماع، ورجعت لجلوس الساهي عن الجميع، تنشق، تنهـــال الأفكار، ترحل لملكـــوت مواضع لا يرافقـــك إليها إلا رجل حزنك الغضوب..

تفد مهاتـــرات / مضايقات العدو تمرّغ أمنكم، تطلق فحيحها الشره، أسلاكها الأفعوانية تقارب عنق صبر شعبك، تلتف، تخنقه بأنشـــوطتها رويدا رويدا، لا يكف الصداميـــون عن تعزيز قواتهم

المســتفزة، نخر منازلكم الآمنة بأوامره، ارتقاء أجســادكم الواهنة بهمجية أفعاله / تعليماته القبيحة..

فينهض ســحركم، حكاياتكم، حرائقكم، جوعكم، صرخاتكم، تتشكل فرق أمنية وتنشط المقاومات السادرة في لثم المجهول ودك جراءة العدو...

بينما أنت وغضبك تخططان، تتســجان، تحيــكان... تقرران وتنفذان.

تقــدم لأهلك شــارحا تفاصيل، دقائق، منمنمــات عمليات لا تَــرد إلا من كان حاضــرا تكونها كفكرة وفعــل لكنك لا تؤكد ولا تنفــي الانضمام لمقاومة كيفان أو غيرها، فقط أحيانا كثيرة يهزك الانفعال.. فتأتي تعبا بلغز يديك وأظافرك المدسوسة بلون الزرقة، والمخدوشــة / المصابة فلا تخبر أحدا عما مســهما وأي مصاب مــر عليهما، تتزوي مرهقا بين أهلك، تصمت عن الحديث طويلا، وقليلا تصرّح بالخبر حين يبزغ رجل الغضب.

كيفان

مســاحة من الإغــراء «تنكر البانزين»[1] بــين كيفان والفيحاء هدف واضح وجريء، جســد يوميء وصوت يطلب، جاءت العملية المتقنــة صدى لنداءاته المغوية، بقرت المقاومة بطنه المنتفخ، بهدير هائل، ترنح من بعده ممسوسا، دائخا بسكرة الشطب.

(١) تنكر البانزين: مركبة ناقلة للوقود.

انســـاب «البانزين» ساخنا من ثقب جســـده المرشوق باللعنة، بتدفق راعف، رائحة نفاذة / صادحة تلهب المكان بالوعيد الهائل.

صرخ صرختـــه المزلزلة، تفجر أنينه الناري، تناثرت أجســـاد الصداميين من حوله، تطاير الصلب واللحم معا، تلاصقا، اندغما.. في رقصة الخلاص المجنونة.

همدت منقوعة بالدم القطع أو الأشلاء، ثارت الشتات / النفي فيها، انطفأ سبيل الحياة.

مهمه / وعاء ضمّ أخلاطاً مختلفة، مهترئة.

سلوى

لا سبيل لتركهم يعبثون بالأسرار / الملفات / المخبوء

قلتهـــا بحرقة قلبك متجها إلى «مباحـــث الجنائية» الكائنة في ســـلوى، ترى المبنى الماثل بالشـــحوب والرصانة، تتفحصه بعيونك، تتســـلل بخفة، تثـــب لداخل المتاهـــة، يتفصد عرقك، تعبـــر أبواباً محـــاذرا أن تفاجأ بأحد ما، تفضي الغرف لأخرى، أحاجي مبثوثة، ألغاز شتى...

أخيرا تعثر على هدفك..

تكدس الأوراق، تضيء ثقابك فتقفز الشـــعلة الجائعة، تنتشي، تلتهم هدوء الأوراق ينشـــر الهلع في بياضها، وتطفىء كل معلومات تتضمن أي أهمية بها.. وتتكوّم الأوراق على وجعها.

اليرموك

نظروا إليها..

منازل لا تعرف قمل الطريق...

إيغال الخراب والسواد في الروح...

جراحات العوز والحرمان...

رأوا فيها..

منازل تمطر ضـــوءا، بذخا، جذبا، فتتاح الغيرة ويفوح الطمع، إذ كانت... منطقة موشومة بالتفرد، بالثراء، رافلة بالرفاه

وأصبحـــت... تضج بالخـــواء، بهيئة الإقفـــار، بقتامة الوحدة تَخَطّفَ أصحابها سفر الصيف المعتاد أو رحيل سافر لمناطق تداري تنميل الهلع إثر تصاعد نزيف الترويعات والانفجارات العشـــوائية، لكن الخوف لا يلج طرقك.

فـــي فورة الأخبار عن الســـلب، تناهي إليك نـــداء منزل أحد أصدقائك من النقباء بوغت بعيون الجشع تلتهمه، أشاعت الحماقة في مكامنه في وليمتها الدنيئة، نكشت مآمنه في مباغته قاصمة، شاهقة الصرخات التي أفلتتها واحته

ما ترددت، ذهبت تســـتطلع واحة منزله، تلمّ فجاءت عواصف فاحشة، تعاين، تحمي، تضم بقايا لوثاتهم غير هيّاب للمجهول..

الفنطاس

الطريـــق الطويل والصداميون منبثون، صـــور تهيل المزيد من العصيان، تحقن جراءتك بدفق التمرد...

تمــرق ســحناتهم المتعجرفة عبر مواكب الجيــش الجمهوري بملابسهم الداكنة، مطبقي الأفواه، خوذة إثر خوذة إثر خوذة...

ويمــرون أحيانا بوجوه ضامرة، ملابس مغبــرة / مهلهلة، في مجاميــع متفرقة، مشــتتة عبر الجيش الشــعبي، فاغــر الأفواه بالارتباك حاسري الرؤوس، رأس إثر رأس إثر رأس..

نقاط تفتيش، قوافل ناهبة، خنادق تثقب وجه الشواطىء..

عبث كلا الجيشــان يثير غثيانك رفضك الصارم، تتجهان أنت وأخوك «طارق» لمرزرعة الفنطاس، تركن سيارتك، تخرج سلاحك من مخبئه في جيب الســيارة، تبدأ بتفحصــه مليا، تنتقي إحدى الزوايــا تداهمهــا، مفرغا رصاصاته الحادة عليهــا، تطمئن على تهيئــة للقادم من مهمات، تركض للرضا، يأخذك الحماس باطلاع «طارق» لكيفية فك وتركيب الســلاح وجعله مســتعدا لكنك تجد في الأيام المقبلة «سيطرات الصداميين التفتيشية» تتكاثر، تتزايد، تجفل مقررا بحزم ألا ينضم «طارق» لعملياتك العشوائية.

السوق

ســاحة ترابية، ســيارات تتزحم، ســجاجيد قذرة تكوم عليها المــواد التموينية، صناديق البيض، علب الأغذية المحفوظة، أكياس الأرز، الطحين، يلعلع صوت الدينار الصدامي المفروض جبرا على المساومات، حلبات الحاجة واستغلالها، حوارات الطلب والعرض، جدالات الآمن والغازي، المشــتري والبائع، جلبة أصوات / لهجات تتشــابك فتشــي بالموطن والمقام، تذهب مع «طارق»، تشتريان ما

تستطيعان حمله، يخبرك لاحقا عن بذاءات الصداميين، تعليقاتهم، تعابيرهم، استفزازاتهم الفجّة/ الوقحة، تنظر إليه، بعيونك، تقرر مجدداً ألا تعرض أحدا للمضايقات أو التعديات السافرة فتأمره بألا يرافقك مجددا فأنت من ستتولى تزويد العائلة بما تحتاج له من غذاء..

ملقيا نفسك بالمتاهة دونهم..

البصرة

لك الذهاب والإياب إليها، أميال من الطريق الصحراوي والخيبة وجدتها هناك، مدينة النخيل اليبيسة والحروب الطاحنة، يطاول عيونك الشجن أينما سرت، تطالعك بيوت خائرة القوى، شوارع مهمومة، أطفال ضئيلون طيبون لاهون ببقع آسنة بصقها الإهمال، وجوه آبائهم ممرغة بالكآبة، منطفئة تئن في منافيها...

أشحت وجهك عنهم، بضراوة مرقت صور شعبك المحشور تحت ذعر العسكر الصدامي.

جمعت بصعوبة المعلومات لتحديد أماكن العمليات المزمع تنفيذها.

هكذا كنت تأتي أحيانا لشراء «التمر» واضعا حلاوته بين يدي أهلك، مقدما لدعات الشقاء في مدينة النخيل مقابل ما ينفذه العسكر في بلادك.

«٢»

تقدم نفسك قرباناً فلا يمسس الأحباء تيه..

تنام وحدك في الطابق السفلي خوفا من تفتيشات مباغتة تدنو من أهلك، تأمرهم بالبقاء في الطابق العلوي مباعدا إياهم في الأعلى عن جاذبية الخطر الفاحش، رافضا بقاء أحد منهم معك في الأسفل، تشدد الحماية وتتمادى خوفا من عاقبة لا تحمد نتائجها، قاطعا الطريق أيضا لتلميحات تطاولك بضرورة مغادرتك البلاد رغم ضراوة الإلحاح منهم..

بينما حياتك منقسمة ما بين

يقظة.. ذكاؤك، المتقد

ونهوضِ سلاحك، الضاري

في هذه الأيام الممعنة في غيّها

المنطلقة في غربتها..

تسلم نفسك / غضبك فقط لهما

ممهور: ذكائك الجسور..

تجلس مع جارك «مصعب الشارخ» تمازحه، تحتضن ابنتك «سارة» تلاعبها، بينما ترعى خراف جلبتها للتمويه يأتيك الصداميون فلا تهتز، يساومونك على البيع ولا تظهر غيظك، توشوش لنفسك:

- «أحتاج للتخفي والمهادنة»..، حتى حين يطلب منك مصعب الاشتراك مع مجموعة مقاومة خاصة بشقيقه ترفض بدماثة خلق

مخبرا مصعب بأنك قادر على التنقل وتحضير وسائلك لوحدك وبجانبك رجل الغضب..

تستمر بعملياتك ولا تكف عن ترتيب المؤونة المعطاة لك، ربط رزم النقود بأناة ودقة، وتوزيعهما في مناطق أخرى بحذر تغالي به حماية لمزودك بهما، متلثما تطرق الأبواب بخفوت تقدم «المقسوم»[٢] للناس وتغادر.. مخلفا وراءك دعاء غبطة يمضي عاموديا للأعلى ويبلل السماء بالامتنان...

أما سلاحك الصلب الساخن..

تخفيه تارة، وتارات أخرى يكون حنجرة تغني الطلقات..

غافلتك ابنتك في نزق، رأت أسلحة شتى، متوخيا شفيف إدراكها، طفولتها الفارهة، أخبرتها أنها آلة تطير جمراتها للسيئين فقط، واحتضنت ابنتك وضم جيبك سلاحك.. مرة واحدة انفك السلاح عنك فدفعته مضطرا مع هوياتك العسكرية

إلى أختك «ليلى» مراهنا على حصافتها، فطنتها، حذقها..

أتى الصداميون لتفتيش المنزل يبحثون بلا تركيز هادفين إلى استفزازكم وابتزازكم، سأمين مغادرين بلا غنيمة.. في قرف تشتمهم عيونكم..

سألتك آنذاك «ليلى» مندهشة حول كيفية إخفائك للسلاح في جوف «الفريزر»[٣] أن يشعروا بوجوده أمامهم طوال الوقت

(٢) المقسوم: النصيب.
(٣) الفريزر: المجمدة - آلة لحفظ الطعام.

كشفت لها تبريرك الحاذق

– خشيت إخباركم فيراودكم الارتباك ويشي خوفكم بالحكاية المخبوءة.

سـلاح لاذع لا يفارقك تسـتره في شـتى الأماكن، تضعه في تجويف «طابوقة»[٤]

تلفها بكوفية تدسـها أسفل سـريرك، أو تتوسده واضعا إياه أسفل مخدتك.. فتحتسي تنميل الراحة، يرتخي جسدك في بحار النوم العميقة، تبصر شيئا من الهناءة وتنادم الغياب قليلا.

مسـاحات الهجوم لا تسـتمر كثيرا، إذ عثورك على طمأنينة الرفقة تتطـاول عذوبتها وتفور في انهمـار رصاصة على العدو، هكذا فعلت ما أن تناهي إليك الخبر الفاجعة عن عملية قتل إحدى فتيات الوطن الصامدات في «كيفان» صرخت في وجه الخبر وهدر صوتك ساخطا / حناقا بأن مقدارها يفوق الكثير من الصداميين وخرجـت أنت ورجلك الغضوب منفذا عمليـة لم يعرف كنهها ولا تفصيلها أحد، لكنكما عدتما شاسعي الفرح والغبطة.

إلا أن.. المحاصـرات، المداهمـات، الاقتحامات بدأت تبطيء عملك ومهماتك، تضيق، تحدّ مطارداتك لأماكنهم..

وطالت مجموعة تعرفها جيدا في «الشـامية» أبلغت «مصعب» ساعتها بضبط خمسة وعشرين مقاوماً وأن في ذلك انكشاف لك..

(٤) الطابوقة: قطعة الحجر الصناعي

بعدها إزاء إلحاحات أهلك خوفا عليك، انتقلت لمنزل عمك..

تخرج في الليل وتطول عودتك، تمخر عباب قلب عمك سفن ملأى بأثقال الهلع لا تكّل، حذرك عمك مرارا من هلاك ينمو وقد يترصدك، بدأ يمنعك من المضي لشوارع مريبة لا يعرف من أي تأتي أشباحها الغادرة، ولا إفلات، ولا مفر منها فطريدتها / مطلبها أنت..

إلا أنه ما صرع خوف عمك عليك عنادك المنتصب فارها...

فما فتئت تجادل، تعاند، ترفض.

«٣»

تركت منزله وأخذت عنادك لبيت عمتك، طيبتها الغامرة تفيض كلما رأتك تغادر فلا تمنعك..

أكثر حرية وانطلاقاً في بيتها كنت، يشاركك ابنها أحياناً بجولاتك، يزوّد كلى منكما الآخر بالذخيرة القاتلة أحيانا وبالحماس الشاسع أحياناً أخرى في سكناك بمنزل عمتك غامرت أكثر، مضيت بسيارتك «المرسيدس» تجوب شوارع خاوية إلا من سيماء البذاءة والطمع، سيارتك التي نصحك أخوك «علي» أن تتوقف عن استخدامها مطالبا إياك باستبدالها بسيارته «الشيفر» فرفضت، إذ كنت قد استخدمت سابقا سيارة شقيقتك «ليلى» أوقفتها داخل منزلكم، نظرت إليها نظرة غارت في هيكلها، شددت الغطاء عليها وأحكمته جيدا، ربت عليه، طلبت من أهلك عدم إخراجها مطلقا، مخافة أن يلق أي رذاذ أذى محتمل بأختك تحت سقف أي سبب أو

طائلة أي مبرر بينما لا تتذر نفسك أنت للغياب، للنفي، للإقصاء في محنة بلادك الحبيبة.. بلاد تحتـاج لقدرة أبنائها على الثبات وقهر مصيرها المتقيّح بالعنـف والعجز والغمّة.. وما كنت ترغب بالمغامرة مجدداً.

الأرض/ البـلاد / الوطـن مسـكون بها ولا سـبيل لخضوع جائر..

الأرض / البلاد / الوطن لا راد لدماء جامحة تشـق أسـوار الصعاب.

الأرض / البـلاد / الوطـن أبـواب تطرقها ولا بـاب إلا باب الكرامة تعالج قفله.. فيذعر العدو..

تدور العبارات الشاحذة لهمتك وتزيدك توكلا على ما قررت.

قبل اليوم والمأمول..

رأيتهم بخيالات دشاديشهم الشتوية، اقتربت لتجدهم جالسين على الكراسـي الخشبية خارج منازلهم، ابتسموا لك وفرحت بلقاء معارفك وجيرانك، سلمت عليهم، سـألتهم الرضا عليك، دهشوا لإلحاحك، منحوك صكوك رضاهم التام.. وودعتهم..

هم ذاتهم كانوا لا يملون ترداد مناشداتهم لك بالحذر وشديد الفطنة رأفة بأمك المريضة بالسكري وأبيك السائل دوما في سفره عنـك خوفا من جرأتك وعطفا على ابنتك وعمرها الصغير.. كان الجميع لا تساوره الشكوك في شجاعتك لكن الرغبة في حمياتك كبير..

متشوقان أنت ورجل الغضب الكامن فيك...

كنتما ترغبان بمعرفة ما يستره الغد...

في خميس مختلف عن غيره، في يوم سيستمع العالم بأجمعه لصوت الكويت والممارسات الوحشية اللاإنسانية أمام أكثر الأجهزة الأممية فاعلية عبر أعضائه الخمسة عشر مشكلين «مجلس الأمن».

أي القرارات قوة ونفاذا ستتخذ.. أم أيها ضعفا ووهنا..

سؤال حارق / خارق يؤرق الجميع يشعل جذوة الترقب بحثا عن أجوبة الانتظار المنهك، خوفا من مفاجآت تأتي من سراديب المصالح / المخازي الدولية..

لذا مررت أيضا على أخيك «عبدالمحسن»، طلبت منه الاعتناء بسرب حمامك الطيب، أبلغته عن الكيفية والرعاية المتطلبة لحمام يحلق في سماء كدّره فوق أرض أرجوانية، منازل ساكنيها ثكلى، بعزاءات ومراثي لا تنضب، يرى الحمام البلاد المسورة بالحزن، تثقل رفرفته ويعود كسيرا..

أوصيته به وذهبت...

وجدتها في ثوبها الصغير

احتضنت فرخ الطفولة، ابنتك «سارة»، قبلتها، شممتها، لاعبتها، ضاحكتها، ضممتها في لين وفي قوة، استعدت مشاعر أبوتك الأولى حين جاءك الخبر السعيد بمولدها، مناغاتها، كلماتها

تساؤلاتها، ضحكاتها وأنت تدغدغها...

التحـولات / المنحنيات رسـبت آيات التشـظي فيك، نزعتك انتزاعا وسـلّتك من حضن السـلام إلى أهوال تجذرت في بلدك، تشـجرت في المسـتقبل، دكّت بلطمة واحدة ما آمنت به من خير في جار الشـمال، وغشـيت الشكوك راسـخ أحلامك وآمالك لـ «سارة»..

لبرهة كالدهر توارد لذهنـك أطفالكم وأطفال البصرة وفعل أهوّج هشـم الطفولة ورجل أشّر لا تعرف الرحمة طريقا إليه في ديكتاتوريته...

«٤»

خـادم فزع رآك، فشـمله الارتباك الشـديد، هـرول لكفيله / صاحب عمله، أخبره بما رآه، هبّ خلف خادمه مقادا بالفضول ليرى المشهد...

تبعه هذا الاتصال..

- ألو.. السلام عليكم..

- وعليكم السلام..

- منزل حبيب غريب الحسين؟

يومض تحذيرك حول نفي وجودك فتجيب:

- لا يوجد لدينا أحد بهذا الاسم..

- حـين يحضر رجالكـم أخبريهم بوجود مصاب بهذا الاسـم في..

واعتصر قلب أختك «ليلى» النبأ المبستر بكلمات طاحنة...

اتصلت من فورها على منزل عمتك، السـؤال المفزع، الحارق يخرق كلماتها بالرجفة..

- أين حبيب؟

- هو نائم في الطابق العلوي..

- متأكديـن؟ جاءنا اتصال يخبرنـا بوجوده مصاب..، أيقظوه دعوني اسمع صوته..

- نخشى ثورة غضبه، فهو نام فجراً..

- أخبروه، أختك تريد سماعك

حادثتهـا عمتـك وأعطتها الحقيقة، كلمـات أخرى مختصرة وماحقة..

- هو غير موجود، قد خرج ولم يرجع..

غشيّ بيتكم الخبر..

لصق في جسوم أهلك، ثقلى الأفئدة، سكرى الخطوة..

جـاء شـقيقك الأصغر مسـرعا لأخيك «طـارق» أخبره عن الاتصال، ركضا للخارج..

مضى «طارق» و«عبدالمحسن»، للمنزل.

أصـرت والدتك العليلـة وأختك «ليلى» علـى المجيء معهما،

لترطيب الوقت دعاءً وتمني...

ذهبوا إلى «الشويخ» حيث أنت...

كلما دنوا من البقعة المحدد وجودك فيها، يجتاحهم خارق الألم والغصة، التوتر يمسك بقبضته الأفكار، خانقة المواجع في زحفها..

الأماني، الآمال، التوجسات ترسل قوافل وتبقى غائرة في كيانهم المنهكة.

وصلوا إلى «جمعية الشويخ» حيث حدد مكانك.. ولم يعثروا عليك سألوا البعض عنك..

- أين المصاب؟

بتردد سألوهم:

- ما قرابتكم منه؟

بإجابة قاطعة:

- أهله.

تطوع أحدهم بالمهمة، دلهم..

المشهد الماثل أمامهم جثهم ومازال في الذاكرة، ما راوح عن مكانه..

سور مدرسة ممتد، بالقرب منه حديقة صامتة، شارع رئيسي محاذٍ جسد ملقى على ظهره، على وجهه ابتسامة..

كنت مضرجا بالدماء.. ورجل الغضب وحده سمع نهنة السور، بكاء الشارع، شهيق الإسفلت..

حـــاول أخوك «طارق» حمـــل ثقلك، هبّ الآخرون من ســـكان المنطقة لمساعدته على حملك وأخذك للسيارة، وضعوك في المقعد الخلفي وانطلقوا بك..

في مستشـــفى الصباح أكد لهم الطبيب العراقي ما كان الأمل يصدهم عنه..

أخبرهم بوضوح لا لبس فيه:

«ميـــــــــت».

لم يأت شقيقك «علي» وعمك للمنزل إلا في السابعة صباحا، لم يكونا قد علما بالخبر..

والدتك يتلاطم البكاء في حرقتها وارتباكها ودموعها السخية، لا تركن للهدوء سألها «علي» مصعوقا بالخوف..

- ما الأمر؟؟؟

وصل «طارق» بســـيارته مسرعا، بقع الدم على دشداشته، ثار جحيم الأسئلة.. أخبره «طارق» بنصف الأمر...

- حبيب مصاب.

تماسك «علي» أمام والدتك، ليأمره «طارق»:

- اركب معي

وانطلقا معا يكملان جميع خيوط الحدث..

في الطريق أخبره النصف المخبوء من الخبر الجلل..

- حبيب تم قتله.

هــزه عميقا من جذور حبه لك، ارتجت ضربات قلبه، شــملته رجفة الموقف وتشويشــه، شــعر بحمى حرارة تيقظ عنفوانها في جسده..

رآى «علي» بقعة الدم..

وفي المخفر رآى صفاقة المحتــل ولا منطقية حقده، إذ طالب بسرعة دفنك إكراما لجسدك الطيب، خاصة إزاء رفض المستشفى تسليمك لأسرتك..

صف المحتل الحجج الغامضة وتمادى بالعنت.. كانت الحوارات مع «علي» مترعة بالتفاهة من المحتل..

١ - تتهمون أحدا بقتله؟

- يجيبهم.. بـ «لا»

٢ - يجب أخذه للبصرة.

- يرد عليهم.. لماذا؟

٣ - ربما مات مسموما

يجيبهم.. لكنه مات بطلق في رأسه

٤ - لا يهم يجب إحالته للطب الشرعي للتأكيد.

يخــرج «علي» مخذولا وخائبا، حائراً من لا معقولية القرار ولا

جدواه، مكررا للعدو ضرورة إكرامك بالدفن، بينما العدو يصرّ على إحالتــك للبصرة عبر عماء ضميره. يتجه «علي» محاولا الحصول على أمر قضائي، يتجه للمحكمــة بقضائها الصداميين بحثا عن عدالة يدرك أنها واهية تســتظل على الباطل الفادح، يشرح، يبيّن، يوضح، يجلو الأمر كاملا.

يرفض القاضي اســتصدار أمر جديد لاحق من شأنه تغيير، تعديل القرار الواهي السالف..

يوقع على أوراقك لإرسالك للتشريح، ويهدد بكل ما يحمل في نفسه من خرائب وعفونة

«سأعدمكم إن راجعتموني بالأمر مرة أخرى»

مجــددا ذهب «علي» يصحبه عمــك ووالدتك التعبة محاولين أخــذك لأحضــان بلــدك، إلا أن الضابط الصدامي جــدد تعنته وتوعده بضرورة أخذك من البصرة خلال ثلاثة أيام وإلا ســتواجه مصيرك بالإلقاء في الخارج، في الشارع...

وعرف أهلك أنك استشــهدت في ليلــة كان إعصار الطلقات ينهال بلا هوادة ولم يعرف أحدا كيف أصابوك وما سبب إطلاقات النار الهائجة.

وفي الأيام الثلاثة لم تتوقف توارد الأحداث..

١١/٢٨ تنديد بتغيير العدو للتركيبة السكانية.

١١/٢٩ قــرار ٦٧٨ بضرورة الامتثال لقــرارات الأمم المتحدة وباســتخدام القــوة بحلــول ١٥ / ينايــر ٩١ إذا لــم ينســحب

الصداميون.

١١/٣٠ رفـض المحتل المهلة ووصفه للقرار بعدم المشـروعية والبطلان.

وفي هذا التاريخ سـافرا لك خلال فتـرة الثلاثة أيام المقررة بالضبط، هرع «علي» و «طارق» الذي كان قد جهز سيارة لنقلك.. فكانت المسافر الثلاث إليك..

وجدا جسدك هناك، مختلفا... كنت ف ر ي س ت ه م.

أعملوا مشـارطهم اللعينة، وخيوطهم الخائبة، مزقوك تمزيقا من قمة رأسك حتى سرّتك..

ورجل الغضب واقفا جوار رأسـك شامخا، شامتا في أفعالهم الدنيئة...

ما استطاع مواساة إخوانك..

انفجر «علي» في وجوههم، أخذ يقذفهم باللعنات والأسـئلة، عـن حرمة جسـدك، عن ضرورة عـدم امتهان الجسـد الطاهر الصامت..

هدأه سائق الإسـعاف..، تمالك كراهيته للصداميين، استعاد شيئاً من صبره واحتضنك...

رفعك، شـاهد «دشداشتك» وملابسـك الأخرى شقت وأنت مازلت ترتديها...

رأى أحشاءك ظاهرة، ورأسك مازال نازفا بالدماء...

علم مدى تهاونهم، وتجاسرهم على جسد لا حول له ولا قوة..

ما راعوه ولا أجبروا أنفسهم على العمل بحذق وإجادة..

عادوا بك، لا عنين غباء / حقد عدو

يتزاحم في قلبيهما الحزن، الإعجاب، الفخر بك

أخـذوا الإذن بدفنك من مستشـفى الصبـاح، انصياعا لأمر حارس المقبرة...

مدوا التصريح له، أخذه، فتح البوابات لاستقبالك

شرعت الأرض حضنها لك، همست السماء بالثناء لك..

بينمـا رجـل الغضـب ينتظرك في مـكان اللانهايـة راضي السريرة..

واروك الثرى في مقبرة الصليبيخات عصرا

وبقيت فـي القلب والروح لكل من عرفك شـامخا، في ذاكرة الوطن عطرا...